العرب
السبت 2020/01/11
السنة 42 العدد 11583

الصدر.. ابن النظام الطائفي وحارسه

فاروق يوسف
كاتب عراقي

فشل مقتدى الصدر في خداع المتظاهرين الشباب ولم يقو على احتواء تظاهراتهم فقرر من طهران أن يبث الروح في جيش المهدي.

ولأنه يعرف جيدا أن لتلك الميليشيا تاريخا أسود في القتل والإرهاب والتشريد فقد أهدته قريحته المفتوحة على الإرهاب الطائفي فكرة أن يتم تأسيس أفواج لمقاومة دولية ترعاها إيران ويكون جيش المهدي نواتها.

واضح أن الرجل المعروف بتقلباته قد عاد إلى مرجعيته الإيرانية بما لا يقبل التراجع، وهو عن طريق تبنيه لفكرة الميليشيا الإرهابية العابرة للقارات إنما يسعى إلى إدهاش أولياء أمره.

الصدر الذي خدع الجميع بعراقيته يوما ما وجد في عزوف الشباب العراقيين عن المضي وراءه بعد أن نكث وعوده مرات عديدة مناسبة لإعلان رغبته في الانتقام منهم والتنكيل بهم. لكن من خلال غطاء المقاومة.

الصدر تنفس الصعداء بعد مقتل سليماني. وها هو يسعى إلى تقديم خدماته قاطعا الطريق على جزء عظيم من جمهوره ممن كانوا يراهنون على وطنيته... وما محاولة إحياء جيشه الميت إلا جزء من محاولة إحياء النظام الذي لم يعد من وجهة نظر العراقيين صالحا

سينافس هذه المرة أرباب السياسة الحاكمين من الشيعة في العراق من أمثال نوري المالكي وهادي العامري وقيس الخزعلي في مهنتهم الغامضة وهي المقاومة بل أنه سيذهب بعيدا ليشارك سيد المقاومة اللبناني حسن نصرالله مائدته المفتوحة على المفاجآت التي تقع دائما تحت عنوان واحد هو "المقاومة".

إنه مطمئن إلى أن أحدا ما لن يسأله ما المقصود بالمقاومة؟ وأين ستمارس أفواج المقاومة الدولية مهماتها؟ وضد مَن؟

الهدف واضح وهو عسكرة المجتمعات العربية التي قُدر لها أن تقع تحت الهيمنة الإيرانية. سيكون مصير من يقاوم تلك العسكرة أو يفند ضرورتها أو الحاجة إليها أن يقتل كونه عميلا أميركيا وإسرائيليا أو حتى سعوديا.

يعرف ذلك المحتال المعمم أن التهم الجاهزة تقود إلى الموت من غير محاكمة. ذلك ما خبره أثناء الحرب الأهلية (2006 ـ 2007). يومها تفنن جيش المهدي في ذبح العراقيين في محاولة منه لإثبات تفوقه على تنظيم القاعدة.

ومن المؤكد أن الصدر الذي لا يزال أتباع إيران من السياسيين العراقيين ينظرون إليه باعتباره صبيا أهوج وفاقدا لأي كفاءة أو أهلية عقلية سعى من خلال اقتراحه أن يسبقهم إلى نيل بركة الولي الفقيه الذي ينظر من عليائه إلى مشهد الإخوة الأعداء الذين يتسابقون من أجل تدمير العراق تأكيدا لإخلاصهم له وبحثا عن رضاه.

يعرف خامنئي أن لا شيء يعوضه فقدان ابنه البار قاسم سليماني. ولكنه لا بد أن يجد في ما يسعى إليه الصدر نوعا من الاستمرار في الدفاع عن القضية. وهي قضية تظل غامضة لمَن لم تكن له حصة في الجريمة.

يمكن تلخيص تلك القضية بـ"الحرب الدائمة".

تلك الحرب التي ستكون المقاومة عنوانها هي محاولة لجر المنطقة إلى الخيار الإيراني وهو خيار انتحاري سيكون على شعوب المنطقة أن تدفع ثمنه. وهكذا يكون مقتدى الصدر قد نجح خفية في تمرير لعبته.

ولا يخفى أن الصدر من خلال لعبته الجديدة إنما يخطط لذبح العراقيين مرة أخرى. ذلك لأن جيش المهدي سيسعى إلى استعادة السيطرة على الشارع العراقي. وهو ما لم يتحقق من غير إنهاء الاحتجاجات وهزيمة الانتفاضة التي هزمت مقتدى الصدر وتياره.

ما صار المتظاهرون الشباب على بينة منه أنهم لن يتمكنوا من إنقاذ العراق واستعادته إلا بعد أن يتمكنوا من إسقاط الدولة الطائفية التي يشكل مقتدى الصدر وتياره أحد أعمدتها.

وهي الحقيقة التي صار الصدر على معرفة بها. لذلك فإنه يسعى إلى استعادة دوره الإجرامي القديم مستغلا غياب قاسم سليماني عن المسرح. لم يكن سليماني يطيق رؤيته أو سماع اسمه.

تنفس الصدر الصعداء بعد مقتل سليماني. وها هو يسعى إلى تقديم خدماته قاطعا الطريق على جزء عظيم من جمهوره ممن كانوا يراهنون على وطنيته وإيمانه بالعراق المستقل.

تؤكد عودة الصدر المعلنة إلى حضن أسياده حقيقة صار المتظاهرون على بينة منها وهي أنه ما من أحد ممن ارتبطوا بآلة النظام الطائفي يمكن النظر إليه باعتباره شخصا وطنيا. وهو ما يجعل موقفهم أكثر صلابة في مواجهة محاولات النظام إعادة إنتاج حكومة، تكون بمثابة واجهة جديدة للفساد.

وما محاولة الصدر لإحياء جيشه الميت إلا جزء من محاولة إحياء النظام الذي لم يعد من وجهة نظر العراقيين صالحا للعيش.

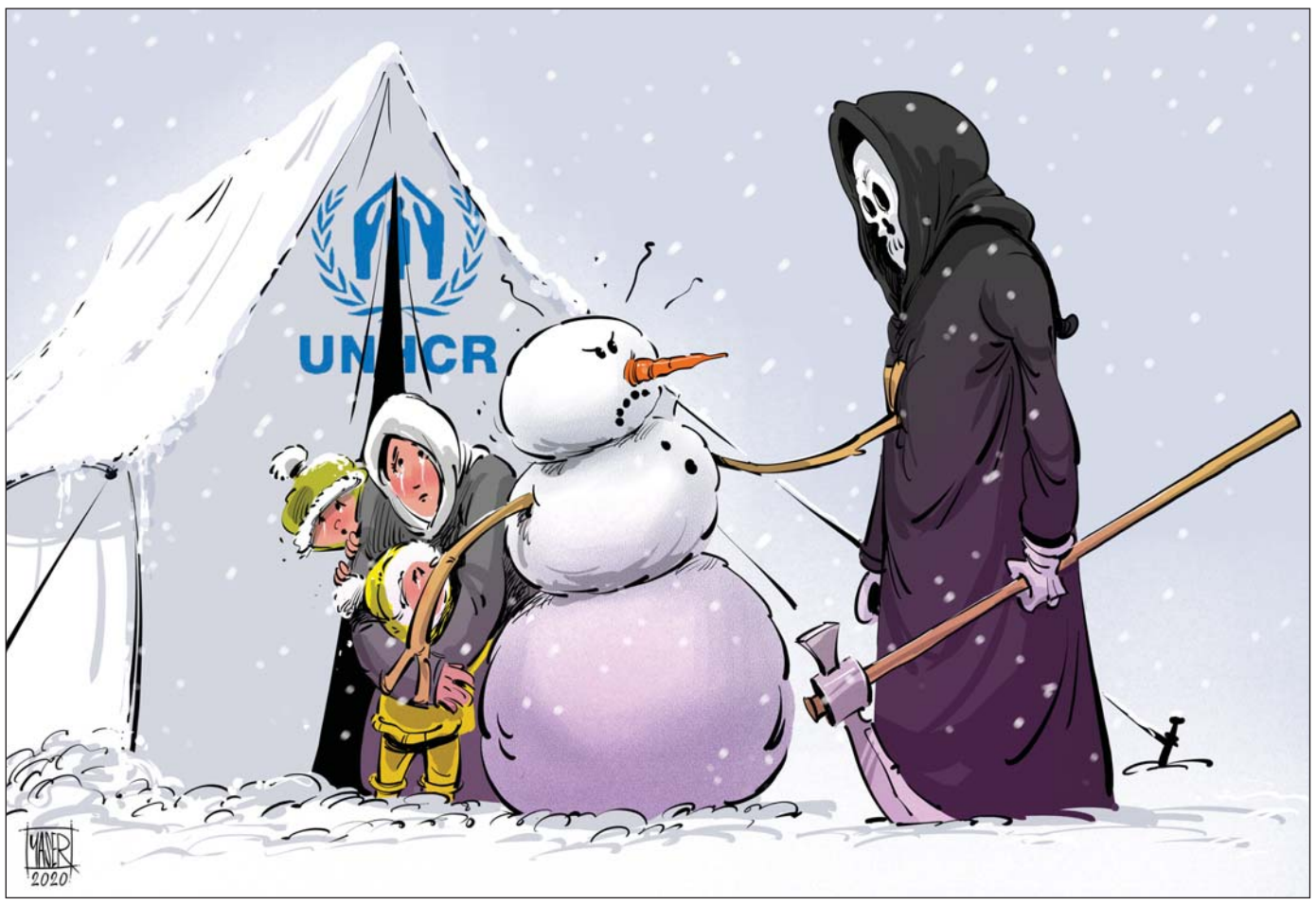

لماذا خذل عادل عبدالمهدي العراقيين

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

يتساءل كثر من العراقيين عن سبب خذلان رئيس الوزراء المستقيل عادل عبدالمهدي لهم في أخطر حالة تتطلب التعبير عن قرارات سيادية، والتي تجسدت في الاشتباكات الإيرانية الأميركية الأخيرة على أرضه.

كما يتساءل العراقيون عن سبب صمت رئيس وزرائهم في لحظات تتطلب اتخاذ قرار سيادي، باعتباره القائد العام للقوات المسلحة، حين أبلغته طهران بشنها هجومات صاروخية على القواعد العراقية في غرب العراق وشماله.

هل أن ذلك الصمت المريب كان ناتجا عما عرف عنه من تخاذل وضعف، أم أن ذلك يقع في خانة وصفها العراقيون بـ"الخيانة". وكان استطلاع قامت به قناة الحرة، عبر منصاتها في مواقع التواصل الاجتماعي، أظهر أن 80 بالمئة من المصوتين اعتبروا صمت عبدالمهدي وعدم اعتراضه المسبق على الضربة "خيانة عظمى".

إضافة إلى موقفه العسكري المتخاذل، لم يدن عبدالمهدي الهجوم الإيراني، واكتفى وزير خارجيته بعد يومين بالتنديد العام والوعد باستدعاء السفير الإيراني ببغداد. في حين كان سارع للذهاب إلى مجلس النواب العراقي بعد حصول الضربة الأميركية في الثالث من يناير والتي قتلت قرب مطار بغداد الجنرال الإيراني قاسم سليماني ومعه أبومهدي المهندس.

وألقى عبدالمهدي، حينها، خطبة عاطفية طالب فيها بإنهاء التواجد الأميركي في العراق دون الحد الأدنى من حسابات المصلحة العراقية العليا وفي ظل مقاطعة كردية سنية لتلك الجلسة، في موقف وصف بأنه تلبية لرغبة النظام الإيراني.

لا أحد يلوم عبدالمهدي على موقفه المتعاطف مع طهران. ولا يستغرب أحد وقوف ممثله الرسمي في التعزية، فالح الفياض، أمام خامنئي ووصفه له بـ"السيد القائد" لأنه حقيقة قائدهم ومرجعهم بعد أن غيّبوا مرجعيتهم العراقية.

لكن المستغرب نسيان عبدالمهدي أنه دستوريا هو رئيس حكومة لدولة اسمها العراق. ويتطلب منه هذا الموقع قدرا من الامتثال لشرف المسؤولية الأولى والتعبير عن السيادة قبل الانحياز للموقف العقائدي والولائي لحكام طهران.

لم يسمع عبدالمهدي تحذيرات المسؤولين الأميركيين الصريحة خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة عن مخاطر وتداعيات التدخل الإيراني في العراق. واضطر وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو للحضور إلى بغداد في أغسطس العام الماضي وإبلاغه إنذارا أميركيا لمخاطر الميليشيات التابعة لإيران وتهديدها للمصالح الأميركية في العراق واستعداد واشنطن لحماية أمن العراق.

ولأن الأزمات دائما ما تكشف قدرات السياسيين وبلاغة تأثيرهم، فقد كشفت هذه الأزمة عن ضحالة المستوى السياسي لعبدالمهدي وفقدانه للقراءة المستقبلية المتطابقة مع مصالح البلاد. وقد سمع تحذيرات الرئيس الأميركي دونالد ترامب بأذن إيرانية حين لوح بأنه "سيفرض عقوبات اقتصادية صارمة على العراق" إذا ما تأكد انحياز حكومته لإيران. ومن أمثلة تلك العقوبات قطع تدفق السيولة النقدية من الدولار، خصوصا أن الدخل القومي العراقي من مبيعات النفط بأكمله هو تحت سيطرة البنك الاحتياطي الفيدرالي الأميركي، إضافة إلى قطع العلاقات المصرفية الأميركية مع المصارف العراقية والبنك المركزي، وحظر التعامل مع الدولار ورفع الحصانة عن الأموال والأصول العراقية في الولايات المتحدة، بالإضافة إلى قطع التعاون العسكري والاستخباراتي ورفع الغطاء الجوي عن العراق.

عبدالمهدي عبّر عن مواقف معادية لانتفاضة شباب العراق، وهو يعلم بعمليات القتل. ولم يحاسب أحدا. كما لم يوقف مسلسل الاختطافات المستمرة، لأنه وقادة الميليشيات يخشون نجاح أهداف الانتفاضة في تحرير العراق من التبعية لإيران

أراد عبدالمهدي أن يعيد مواصفاته الشخصية المتذبذبة في المواقف والآراء عبر تاريخه السياسي. روى لي من كان مسؤوله الحزبي حين كان داخل صفوف البعث إنه بعد سنوات من خروجه من ذلك التنظيم التقاه في دمشق في الثمانينات واستغرب أن شاهده يلف وشاحا أخضر على رقبته مرتديا "الدشداشة" السوداء سائلا إياه: ما الأمر؟ أجابه: لقد اخترت الطريق النافع، مشيرا بيديه إلى جهة إيران.

كشفت الوقائع الأخيرة أن ما كان عبدالمهدي يشيعه عن نفسه بأنه دائما ما يحمل استقالته في جيبه لم يكن حقيقيا، وثبت أنه متشبث بمنصبه وحاول المناورة على قرار الانتفاضة الشعبية التي أرغمته على تقديم الاستقالة بالتعبير عن تنفيذه لرغبة المرجعية "الشيعية" وولائه لها وليس لجمهور الشعب المنتفض.

وخلال الأزمة الحالية حاول التماهي مع الموقف الإيراني على حساب العراق لكي يقرروا بقاءه برئاسة الحكومة وقد ناشد البرلمان في خطبته الأخيرة بدعم حكومته رغم أنه أعلن استقالته مع طاقمه الحكومي.

عبّر عبدالمهدي عن مواقف معادية لانتفاضة شباب العراق، وهو يعلم بعمليات القتل منذ مراحلها الأولى. ولم يحاسب أحدا. كما لم يوقف مسلسل الاختطافات المستمرة للناشطين، لأنه وغيره من الميليشيات المسلحة يخشون نجاح أهداف الانتفاضة في تحرير العراق من التبعية لإيران.

وأكدت الأحداث الأخيرة الموقف الوطني العراقي لهؤلاء الشباب الهادفين إلى إزاحة أحزاب الفساد والمجموعات الطائفية المسلحة المدعومة من إيران والتي تحاول المكابرة في المنازلة الأخيرة لكنها تدرك أن سيدها النظام الإيراني الذي ربطت مصيرها به أصبح في أسوأ حالاته رغم ضجيج الصواريخ الفارغة.

الموت لأميركا أم للعراقيين

سهى الجندي
كاتبة فلسطينية

استعرضت إيران عضلاتها للانتقام لمقتل قاسم سليماني، ولكنها قصفت قاعدة عسكرية غير مأهولة فيها القليل من الموظفين العراقيين وقد أصيب عدد منهم في القصف. هل كان هناك خطأ في الإحداثيات؟ أم أنها كانت تعلم مسبقا أن القاعدة مهجورة؟ لك الله يا عراق، ستظل مجنيًا عليك طالما أن إيران تتكئ عليك.

كيف وقر في وجدان العراقيين أن إيران تهدف إلى قتل أميركا وإسرائيل، ولكنها في الحقيقة تقتل العراقيين، ألم يخبرها أحد أن القاعدة التي قصفتها فيها عراقيون وليس فيها أميركيون؟

أما عن موقف العراق الرافض لأيّ تصفية للحسابات على أراضيه، فقد ذكر مسؤول من الكونغرس الأميركي على قناة "سي إن إن" أن طلب العراق من القوات الأميركية المغادرة يعني ترك بترول العراق لإيران، والعراقيون يعرفون أن أميركا وإيران موجودتان في العراق من أجل النفط فقط، لكن الميليشيات، المغسولة أدمغتها، متمسكة بإيران طمعا بصكوك الغفران ودخول الجنة مع الأنبياء والصديقين، ولا يهم النفط المسروق طالما أن الخير آت يوم القيامة.

الشعب العراقي من أرقى شعوب العالم ولكنّ شيئا ما يقف بين عينيه ودماغه، فهم يشاهدون اللطم والجلد والتجريح ندما على قتل الحسين ولا يدرك أن هذا الأمر فيه عبادة للبشر وهذا كفر، وشاهدوا تدافع الإيرانيين في جنازة سليماني وسقوط 40 قتيلا وأكثر من مئة جريح لأنهم يحاولون الاقتراب من النعش والتبرك به، وشاهدوا كيف كان الإيرانيون يرمون أوشحتهم على النعش لكي يتبركوا به وحراس النعش يساعدونهم في ذلك، أفلا يدرك العراقيون أن هذا تخلف وجهل ولا يختلف البتة عن تنظيم داعش. إنهم يَسِمُون داعش بالتخلف والجهل ولا يعترفون أنهم يقدسون البشر وهذا يخرجهم من ملة الإسلام.

على الجماعات الشيعية في العراق أن تدرك الحجم الحقيقي لإيران وأنه تم استغلالها أبشع استغلال لتنفيذ أجندات سياسية واستنزاف البلاد

إن تجنيد شباب العراق في الميليشيات الشيعية جريمة في حق العراقيين جميعا، لأنه جعل العراقيين وقودا لمغامرات إيران وأميركا، وعلى الرغم من أنهم متعلمون ومثقفون، ولكن إيران تمكنت من خلق أتباع لها وظهير قوي تختبئ خلفه في الشدائد والمواجهات العسكرية، وتسرق نفطه، وهذا الوجود الإيراني استلزم الوجود الأميركي الذي جاء لينافس إيران على نفط العراق، كما أن إيران كانت السبب وراء الديون الفلكية لأميركا على العراق جرّاء الحروب التي خاضها العراق بسببها.

لقد قيل الكثير بشأن الجماعات الإسلامية المتطرفة، وجاءت الجيوش من مختلف البلدان لمقاتلتها، فلماذا لا توجه انتقادات مماثلة لمنتسبي الميليشيات الشيعية، فهم لا يختلفون عن الدواعش من حيث الجهل والتخلف وجلب الدمار إلى المنطقة.

الآن يجب على الجماعات الشيعية أن تدرك الحجم الحقيقي لإيران وأن تدرك أنه تم استغلالها أبشع استغلال لتنفيذ أجندات سياسية واستنزاف الاقتصاد من قبل أميركا وإيران، وما الشعارات التي ترفعها إيران إلا تضليل وكذب، فهي لم، ولن، تطلق رصاصة ضد أميركا وإسرائيل، وعندما قصفت إسرائيل مواقعها في سوريا ابتعدت عن مرمى النيران الإسرائيلية قائلة "سنرد في الوقت المناسب"، ولن يأتي هذا الوقت المناسب، وآن الأوان للجماعات الشيعية التابعة لإيران أن ترشد وتعود إلى العقل والمنطق وجذورها العربية وتنأى بنفسها عن الدجل والاستغلال والتخلف والجهل والفقر، خاصة وأن المناخ العربي اليوم مبتعد عن الحكم الإسلامي وتسعى الشعوب العربية إلى حكم علماني لا يميز بين الأديان والطوائف. فيا أهل العراق فيئوا إليهم لتحصلوا على قليل من نفطكم المسروق.